محمد السعدى فرهود

مختارات من الأدب الأندلسى

القاهرة
١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م

مطبعة زهران
سيد اسماعيل وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الغـــزل

ابن هانئ الأندلسي (١):

فتكات لحظك أم سيوف أبيك ... وكئوس خمر أم مراشف فيكِ
أجلاد مرهفة ، وفتك محاجر ... ما أنت راحمة ولا أهلوك
يا بنت ذى البرد الطويل نجاده ... أكذا يكون الحكم فى ناديك
عيناى أم مغناك موعدنا . وفى ... وادى الكرى ألقاك أم واديك
حسبوا التكحل فى جفونك حلية ... تالله ما بأكفهم كحلوك
ودعوك بى إذ نحن غصنا بانة ... حتى إذا احتفل الهوى حجبوك

---

(١) نشأ فى إشبيلية ، واتصل بأميرها زمن المستنصر الأموى ، ومدحه، فغلا ، واتصل بالمعز لدين الله الفاطمى بالمغرب ؛ وتأهب للسفر معه إلى مصر، ولكن المنية عاجلته سنة ٣٦٢ هـ .

ويمتاز ابن هانئ بإجادة التشبيه والتصوير ، ويغلو فى مدائحه غلوا اتهموه معه بالزندقة . ويمزج بعض قوله بالأفكار الفلسفية .

ابن زيدون(١) :

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق، ووجه الأرض قد راقا(٢)
وللنسيم اعتلال فى أصائله كأنه رق لى فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم كما شققت عن اللبات أطواقا(٣)
يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها — حين نام الدهر — سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقى بكت لما بى ، فجال الدمع رقراقا
ورد تألق فى ضاحى منابته فازداد منه الضحا فى العين إشراقا(٤)
سرى ينافحه نيلوفر عبق وسنان نبه منه الصبح أحداقا(٥)
كل يهيج لنا ذكرى ، تشوقنا إليك ، لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
لا سكن الله قلباً عنّ ذكركم فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى وافاكم بفتى أضناه مالاقى

---

(١) ولد ونشأ فى قرطبة ، واتصل ببنى جهور من ملوك الطوائف بعد انتهاء دولة بنى أمية بالأندلس ، ووزر لأبى الحزم ولابنه بعد ذلك ، وله قصة حب مع ولادة بنت المستكفى بالله أحد أمراء الدولة الأموية . سجن بقرطبة فى ظروف سياسية وفر من السجن إلى إشبيلية ووزر فيها للمعتضد بن عباد وابنه المعتمد بالله . توفى سنة ٤٦٢ هـ شعره ترجمة لحياته ، وأسلوبه على الجملة رصين ، وموسيقاه انسابية ، وشهر فى النثر بالرسالتين الجدية والهزلية .

(٢) يخاطب محبوبته ولادة وهذه القصيدة أنشأها بعد فراره من السجن . الزهراء : ضاحية قرطبة بناها الناصر . الأفق طلق : ضاحك معتدل .

(٣) اللبات : جمع لبة وهى موضع القلادة من الصدر . الأطواق : جمع طوق وأراد به ما يطيف بالعنق من الثوب . (٤) تألق : ازداد لمعانا . ضاحى منابته : أى منابته الضاحية وهى البارزة للشمس . (٥) سرى : سار ليلا . النيلوفر : النبات المسمى عباد الشمس .

لو كان وفّى المنى فى جمعنا بكم ... لكان من أكرم الأيام أخلاقا
كان التجارى بمحض الود مذ زمن ... ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا(١)
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم ... سلوتم ، وبقينا نحن عشاقا

المستعين بالله(٢) :

عجبا يهاب الليث حد سنانى ... وأهاب لحظ فواتر الأجفانِ
وأقارع الأهوال لا متهيبا ... منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظرى ... من فوق أغصان على كثبان
هذى الهلال، وتلك بنت المشترى ... حسنا ، وهذى أخت غصن البان
حاكمت فيهن السلو إلى الهوى ... فقضى بسلطان على سلطانى
فأبحن من قلبى الحمى وتركننى ... فى عز ملكى كالأسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ... ذل الهوى عز ، وملك ثان
ما ضر أنى عبدهن صبابة ... وبنو الزمان وهن من عبدانى
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى ... كلفا بهن فلست من مروان

---

(١) التجارى : التسابق أطلاقاً : أشواطاً .

(٢) أحد أمراء دولة بنى أمية بالأندلس، حكم من سنة ٤٠٠هـ إلى سنة ٤٠٧هـ، وفى عهده أتيح للأدارسة بالمغرب أن يمدوا نفوذهم إلى بلاد الأندلس ، بعد أن استعان هذا المستعين بالله بالقاسم وعلى ابنى حمود ، ووكل إليهما أمر قيادة البربر والعبيد ، ثم عقد للقاسم على الجزيرة الخضراء ولأخيه على طنجة .

أبو الحسن الحصري :(١)

ياليل الصب متى غده	أقيام الساعة موعدُه
رقد السمار ، وأرقه	أسف للبين يردده
فبكاه النجم ، ورق له	مما يرعاه ويرصده
كلف بغزال ذى هيف	خوف الواشين يشرده
نصبت عيناى له شركا	فى النوم فعز تصيده
وكفى عجباً أنى قنص	للسرب . سبانى أغيده
صنم للفتنة منتصب	أهواه ، ولا أتعبده
صاح والخمر جنى فمه	سكران اللحظ معربده
ينضوُ من مقلته سيفا	وكأن نعاسا يغمده
فيريق دم العشاق به	والويل لمن يتقلده
كلا . لاذنب لمن قتلت	عيناه ، ولم تقتل يده
يامن جحدت عيناه دمى	وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمى	فعلام جفونك تجحده
إنى لأعيذك من قتلى	وأظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى	فلعل خيالك يسعده
ماضرك لوداويت ضنى	صبٍ يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا	فليبكِ عليه عوده

(١) ولد ونشأ بالقيروان ، ثم رحل إلى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ثم انتقل إلى طنجة ، ووافته منيته بها سنة ٤٨٨ هـ كان من علماء القراءات . وله شعر لطيف رقيق ، وداليته هذه حظيت بمعارضة كثير من الشعراء ، ومنهم نجم الدين القمراوى ، وناصح الدين الأرجانى ، وأمير الشعراء أحمد شوقى .

وغدا يقضى أو بعد غد ... هل من نظر يتزوده
ياأهل الشوق لنا شرق ... بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكم ... وصروف الدهر تبعده
ما أحلى الوصل وأعذبه ... لولا الأيام تنكده !
بالبين وبالهجران . فيا ... لفؤادى كيف تجلده !

البطليوسى (١):

غصبوا الصباح فقسموه خدودا ... وتناهبوا قضب الأراك قدودا
ورأوا حصى الياقوت دون نحورهم ... فتقلدوا شهب السماء عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم ... فسبوا بهن ضراغماً وأسودا
لم يكفهم حمل الأسنة والظبا ... حتى استعاروا أعينا وخدودا
وتضافروا بضفائر أبدت لنا ... ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الأقاحى بينها ... ماء الحياة لو اغتدى مورودا

ابن الفراء :

قيل لى : قد تبدلا ... فاسل عنه كما سلا
لك سمع وناظر ... وفؤاد ، فقلت : لا
قيل : غال وصاله ... قلت : لما غلا حلا
أيها العاذل الذى ... بعذابى توكلا
عد صحيحا مسلما ... لا تغير فتبتلى

---

(١) عبد الله بن محمد البطليوسى ، ولد فى بطليوس ، ونشأ فى بلنسية ، وكان أديباً وعالماً بالعربية ، وأشهر كتبه (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) شرح فيه كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) . وتوفى البطليوسى سنة ٥٢١ هـ .

الوصـــف

حمدونة(١) تصف وادي آش :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه ، فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

ابن هانىء الأندلسي يصف أسطول المعز لدين الله :

أما والجوارى المنشآت التى سرت ... لقد ظاهرتها عدة وعديدُ (٢)
قباب كما تُزجَى القباب على المها ... ولكنّ من ضُمت عليه أسود(٣)
ولله - مما لا يرون - كتائب ... مسومة تحدو بها وجنود(٤)
أطاع لها أن الملائك خلفها ... كما وقفت خلف الصفوف رُدود(٥)
وأن الرياح الذاريات كتائب ... وأن النجوم الطالعات سعود
وما راع ملك الروم إلا اطلاعها ... تنشّرُ أعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيرُه ... له بارقات جمة ورعود(٦)

---

(١) وقيل: حمدة بنت زياد ، واحدة من شواعر الاندلس .

(٢) الجوارى المنشآت : السفن (٣) المها : بقر الوحش والمقصود بها هنا الحسناوات . (٤) كتائب مسومة : يقصد الملائكة .

(٥) أطاع لها : أمكن لها . والردود جمع رد وهو ما يعتمد عليه .

(٦) صبيره : سحابه المتراكم .

مواخر في طامي العباب كأنها لعزمك بأس أو لكفك جود
أنافت بها أعلامها ، وسما لها بناء على غير العراء مشيد
وليس بأعلى شاهق وهو كوكب ، وليس من الصُّفَّاح وهو صلود(١)
من الراسيات الشم لولا انتقالها فمنها قنان شُمَّخ وريود(٢)
من الطير إلا أنهن جوارح فليس لها إلا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى فليس لها يوم اللقاء خمود(٣)
إذا زفرت غيظا ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود(٤)
فأفواههن الحاميات صواعق وأنفاسهن الزافرات حديد
لها شعل فوق الغمار كأنها دماء تلقتها ملاحف سود(٥)
تعانق موج البحر حتى كأنه سليط لها فيه الذُّبال عتيد(٦)
فليس لها إلا الرياح أعنة وليس لها إلا الحباب كديد(٧)

ابن هاني الأندلسي يصف أكولا :

انظر إليه ، وفي التحريك تسكين، كأنما التقمت عنه التنانينُ (٨)
ياليت شعري إذا أوما إلى فمه أحلقه لهوات أم ميادين (٩)

---

(١) الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة . الصلود : الزند لا يورى .
(٢) قنان : جمع قنة وهي القمة . ريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل .
(٣) الصلى : الهواء . (٤) المارج : النار بلا دخان . (٥) غمار : جمع غمر وهو الماء الكثير ومعظم البحر . (٦) السليط : الزيت . الذبال : الفتيلة
(٧) الحباب (بالفتح) : معظم الماء وطرائقه . والكديد : الأرض الصلبة والغليظة وبطنها الواسع .
(٨) التقمت : ابتلعت . التنانين : جمع تنين (وزن سكيت) وهو الحية العظيمة
(٩) أوما : أومأ أي أشار . اللهوات : جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم .

كأنها ، وخبيث الزاد يضرمها ، جهنم قذفت فيها الشياطين
تبارك الله . ما أمضى أسنته ! كأنما كل فك منه طاحون
كأن بيت سلاح فيه مختزن مما أعدته للرسل الفراعين
أين الأسنة أم أين الصوارم أم أين الخناجر أم أين السكاكين ؟!
كأنما الحمل المشوى فى يده ذو النون فى الماء لما عضه النون(١)
لف الجداء بأيديها وأرجلها كأنما افترستهن السراحين(٢)
وغادر البط من مثنى وواحدة كأنما اختطفتهن الشواهين (٣)
يخفض الوز من قرن إلى قدم وللبلاعيم تطريب وتلحين(٤)
كأن فى فكه أيتام أرملة ، أو باكيات عليهن التبابين(٥)
كأنما ينتقى العظم الصليب له من تحت كل رحى فهر وهاوون(٦)
كأنما كل ركن من طبائعه نار ، وفى كل عضو منه كانون
كأنما فى الحشا من خمل معدته قرنفل وجواريش وكمون(٧)
قوموا بنا ؛ فلقد ريعت خواطرنا وجاذبتنا الأعنات البراذين(٨)
نصحتكم . فخذوا من شدقه وزرا أو لا ؛ فأنتم سويق فيه مطحون(٩)
فليس ترويه أمواه الفرات ، ولا يقوته فلك نوح وهو مشحون
فثل « رقادة » فى كفه وسط ونحن مقدونس فيه وطرخون(١٠)

---

(١) النون : الحوت ، وذو النون : يونس النبي . (٢) الجداء : جمع جدى وهو ذكر المعز . والسراحين : جمع سرحان (بالكسر) وهو الذئب.
(٣) الشواهين : جمع شاهين وهو طائر يشبه الصقر . (٤) البلاعيم : جمع بلعوم وهو مجرى الطعام فى الحلق . (٥) التبابين : جمع تبان وهو السراويل الصغير يستر العورة المغلظة . (٦) الفهر : حجر يكسر به الجوز ونحوه .
(٧) خمل المعدة : خشونتها التى تمسك الطعام إلى أن يهضم .
(٨) البراذين جمع برذون وهى الدابة . (٩) الوزر : السلاح .
(١٠) رقادة : مدينة بالمغرب ، وطرخون : نبات .

ابن شهيد[1] يصف برغوثا :

« أسود زنجي ، أهلي وحشي ، ليس بوان ولا زميل(٢) ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل ، أو نقطة مداد ، أو سويداء فؤاد(٣)، شربه عب ، ومشيه وثب . يكمن نهاره ، ويسير ليله ، يدارك بطعن مؤلم(٤) ، ويستحل دم البريء والمجرم . مساور الأساورة(٥) ، ومجرد نصله على الجبابرة . لا يمنع منه أمير ، ولا تنفع فيه غيرة غيور، وهو أحقر حقير . شره مبثوث ، وعهده منكوث(٦)، وكفى بهذا نقصانا للإنسان ، ودلالة على قدرة الرحمان » .

ابن زيدون يصف ابن عبدوس على لسان ولادة :

« أما بعد ، أيها المصاب بعقله . المورط بجهله(٧). البين سقطه(٨) ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط

(١) ولد ونشأ في قرطبة ، وشهد عهد الناصر (عبد الرحمن الثالث)، وهو عهد بلغت فيه الأندلس أوج المجد السياسي والاجتماعي والعلمي ويمتاز شعره بالسهولة والرقة .

وله في النثر رسالة (التوابع والزوابع) المشهورة وهي رسالة نقدية في أسلوب خيالي تهكمي ، نهج فيها منهج أبي العلاء المعري في (رسالة الغفران) . وتوفي ابن شهيد سنة ٤٥٦ هـ .

(٢) الواني : البطيء . والزميل : الضعيف . (٣) سويداء الفؤاد : حبة القلب . (٤) يدارك . يتابع . (٥) مساور الأساورة : مهاجم لها والأساورة الأبطال واحدها أسوار بالضم وبالكسر .

(٦) منكوث : منقوض

(٧) أي الواقع في ورطة وهي الهلاك بسبب جهله (٨) السقط الخطأ .

سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب(١). . . »

« كلامك تمتمة (٢) ، وحديثك غمغمة(٣)، وبيانك فهفهة(٤)، وضحكك قهقهة(٥)، ومشيك هرولة(٦)، وغناك مسألة(٧)، ودينك زندقة(٨)، وعلمك مخرقة(٩) .

مساو لو قسمن على الغوانى لما أمهرن إلا بالطلاق(١٠)

حتى إن « باقلا » موصوف بالبلاغة إذا قرن بك(١١)، و « هبنقة » مستوجب لاسم العقل إذا أضيف إليك(١٢)، و « طويسا » مأثور عنه يمن الطالع إذا قيس عليك(١٣)؛ فوجودك عدم ، والاغتباط بك ندم ، والخيبة منك ظفر ، والجنة معك سقر ....» .

ابن عمار(١٤) يصف ساقى الشراب :

وهويتـه يسقى المدام كأنه قمر يدور بكوكب فى مجلسِ

---

(١) التهافت : الترامى مع خفة وطيران ، والشهاب : الشعلة من النار .
(٢) التمتمة : التردد فى حرف التاء . (٣) الغمغمة : أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف (٤) الفهفهة : العى فى النطق
(٥) القهقهة : الضحك الشديد العالى والعرب تنسبه إلى ضعف فى العقل .
(٦) الهرولة : سير بين المشى والعدو ، والمقصود أنه متخلع فى سيره .
(٧) غناك مسألة : أى ثروتك عن طريق السؤال والكدية والاستجداء .
(٨) الزندقة : الإلحاد (٩) المخرقة : الجهل والحمق .
(١٠) البيت لأبى تمام. (١١) باقل: شخص يضرب به المثل فى العى والبلادة
(١٢) هبنقة : شخص يضرب به المثل فى الخبال وضعف العقل .
(١٣) طويس : مغن ماجن بالمدينة يضرب به المثل فى الشؤم .
(١٤) من شعراء عصر الطوائف . وزر لبنى عباد فى إشبيلية ووقعت بينه وبينهم خصومة انتهت بمصرعه . فى شعره رقة وميل إلى اللذات .

متأرج الحركات ، تندى ريحه — كالغصن هزته الصبا بتنفس(١)
يسعى بكأس فى أنامل سوسن — ويدير أخرى فى محاجر نرجس
جهم . وإن حسر القناع فإنما — كشف الظلام عن النهار المشمس(٢)
يطغى ويلعب فى دلال عذاره — كالمهر يدرج فى اللجام المجرس(٣)
عنا بكأسك ، قد كفتنا مقلة — حوراء قائمة بسكر المجلس

ابن حمديس(٤) يصف أسود نافورة:

وضراغم سكنت عرين رياسة — تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها — وأذاب فى أفواهها البلورا(٥)
أسد كأن سكونها متحرك — فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما — أقعت على أدبارها لتثورا(٦)
وتخالها والشمس تجلو لونها — ناراً، وألسنها اللواحس نورا(٧)
فكأنما سلت سيوف جداول — ذابت بلا نار ، فعدن غديرا

---

(١) متأرج الحركات : الذى يغرى بحركاته . تندى ريحه: تطيب رائحته.
(٢) جهم : عاجز ضعيف ، وهذا أولى من تفسيره بالسمج الغليظ لوجه.
(٣) يدرج : يمشى اللجام المجرس : الصائت من الأجراس المعلقة منه .
(٤) ولد فى صقلية ، ونزح عنها إلى الأندلس ، واتصل ببنى عباد فى إشبيلية ، ثم رحل إلى إفريقية (تونس) فاتصل بالأمير يحيى بن تميم بن المعز، وانتهت حياته فى جزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ ﻫ شعره عـــذب ، فيه صناعة ، وإحكام .

(٥) النضار : الذهب (٦) أقعت : الإقعاء الجلوس على الأليتين مع نصب الساقين ووضع اليدين على الأرض . (٧) اللواحس : جمع لاحس وهو اللسان يقوم باللحس .

أبو إسحاق الإلبيري يتحدث عن الشيب :

والشيب نبه ذا النهى فتنبها — ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى
فإلى متى ألهو وأخدع بالمنى — والشيخ أقبح ما يكون إذا لها
ما حسنه إلا التقى ، لا أن يرى — صبا بألحاظ الجآذر والمها(١)
أنى يقاتل وهو مغلول الشبا — كابي الجواد إذا استقل تأوها(٢)
محق الزمان هلاله ، فكأنما — أبقى له منه على قدر السها(٣)
فغدا حسيراً يشتهى أن يشتهى — ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
إن أنّ أواه وأجهش بالبكا — لذنوبه ضحك الجهول وقهقها
ليست تنهه العظات ، ومثله — فى سنه قد آن أن يتنههها(٤)
فقد اللدات وزاد غيا بعدهم — هلا تيقظ بعدهم وتنبها(٥)

ابن خفاجة الأندلسى(٦) يصف الروضة عقب المطر :

« ولما أكب المطر إكباباً ، لم أجد منه إغباباً(٧)، واتصل المطر اتصالا، لم ألف منه انفصالا ؛ أذن الله للصحو أن يطلع صفحته ، وينشر صحيفته ،

(١) الجآذر : ولد البقر الوحشى الواحدة جؤذر والمها : بقر الوحش الواحدة مهاة . تشبه بها النساء فى حسن العيون .

(٢) الشبا الرماح والنبل كابى الجواد : عاثره استقل : ارتحل وذهب

(٣) محق الزمن هلاله : جعله فى المحاق آخر الشهر . السها : كوكب خفى فى بنات نعش الصغرى . (٤) تنهنه: كف وازدجر .

(٥) اللدات : جمع لدة وهو النظير فى السن .

(٦) ولد ونشأ بمدينة شقر. شغل نفسه بالطبيعة وجمالها ورغب عن المدح، له شعر ونثر فى وصف الطبيعة ، مشحون بالخيال والتشبيهات .

(٧) الإغباب : الزيارة يوما بعد يوم .

فقشعت الريح السحاب ، كما طوى السجل الكتاب ، وطفقت السماء تخلع جلبابها ، والشمس تميط نقابها ، وطلعت الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت ، وقد تحلت .

فذهبت فى لمة من الإخوان نستبق إلى الراحة ركضا ، ونطوى للتفرج أرضا ، فلا نندفع إلا إلى غدير ، نمير ، قد استدارت منه فى كل قرارة ماء ، سحابة غماء(١) . وانساب ، فى تلعته حباب(٢)، فترددنا بتلك الأباطح تتهادى تهادى أغصانها(٣)، وتتضاحك تضاحك أقحوانها ، وللنسيم ، أثناء ذلك المنظر الوسيم ، ترسل مشى(٤) ، على بساط وشى(٥) ، فإذا مر بغدير نسجه درعا(٦) ، وأحكمه صنعا ، وإن عثر بجدول شطب منه نصلا(٧) ، وأخلصه صقلا ، فلا ترى إلا بطاحا ، مملوءة سلاحا ، كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بما لبسته من درع مصقول ، وسيف مسلول » .

ابن خفاجة الأندلسى يصف نهرا :

لله نهر سال فى بطحاء ... أشهى ورودا من لمى الحسناء(٨)

متعطف مثل السوار كأنه ... والزهر يكنفه ـ مجر سماء(٩)

---

(١) سحابة غماء : لا فرجة فيها .

(٢) التلعة المرتفع من الأرض . والحباب : الفقاقيع تعلو وجه الماء .

(٣) الأباطح : مسايل الماء . والتهادى : التمايل والتدالل .

(٤) ترسل مشى أى مشى فى مهل وهوادة . (٥) بساط وشى : بساط فيه نقوش . (٦) نسجه درعا : أى أن النسيم يجعد صفحة الماء فيجعلها أشبه بحلق الدرع (٧) شطب النصل : أن يجعل الصانع فيه حزوزا غائرة على طوله ، والمراد تشبيه الجدول بالسيف المشطوب .

(٨) البطحاء : مسيل الماء الواسع . اللمى : سمرة فى الشفتين محمودة .

(٩) مجر السماء : منطقة فى السماء ذات نجوم كثر لا يميزها البصر فيراها بقعة بيضاء .

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا   من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها   هدب يحف بمقلة زرقاء(١)
ولطالما عاطيت فيه مدامة   صفراء تخضب أيدى الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى   ذهب الأصيل على لجين الماء(٢)
والماء أسرع جريه متحدرا   متلويا كالحيـــة الرقطاء(٣)

الحماســـة

طارق بن زياد(٤) فى أول الفتح :

« أيها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر . واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام ، فى مأدبة اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم(٤) ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم ، بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ؛ وإن انتهاز الفرصة فيه

(١) الهدب : شعر الأجفان .

(٢) ذهب الأصيل : الأصيل يشبه الذهب . لجين الماء : الماء يشبه اللجين وهو الفضة .

(٣) الحية الرقطاء : التى فيها نقط بيض .

(٤) الوزر : المعقل — أى أنكم لا تعتمدون إلا على سيوفكم .

لممكن ، إن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة(١) ولا حملتكم على خطة أرخصُ متاع فيها النفوس إلا أبدأ بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا ، استمعتم بالأرفه الألذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظكم فيه بأوفر من حظى ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات اليونان ، الرافلات فى الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان(٢) ، المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، من الأبطال عزبانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختانا ؛ ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم لمجالدة الأبطال الفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولى إنجادكم ، على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين .

واعلموا أنى أول مجيب إلى مادعوتكم . وإنى عند ملتقى الجمعين ، حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق ، فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معى ، فإن هلكت بعده ، فقد كفيتكم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى إليه ، فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون » .

---

(١) النجوة : ما ارتفع من الأراض . وأنا عن الأمر بنجوة أى بعيد عنه لاينالنى منه شىء يضر .

(٢) العقيان : الذهب .

حكمة الحياة

ابن حزم (١)

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا ! ... فجائعه تبقى ولذاته تفنى !
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة ... تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعات فى المعاد ، وموقف ... نود إليه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم وإثم وحسرة ... وفات الذى كنا نقر به عينا
حنين لما ولى ، وشغل بما أتى ... وهم لما يرجى ؛ فعيشك لا يهنا
كأن الذى كنا نسر بكونه ... - إذا حققته النفس - لفظ بلا معنى

ابن حزم أيضاً :

جعلت اليأس لى حصنا ودرعا ... فلم ألبس ثياب المستضام
وأكثر من جميع الناس عندى ... يسير صانني دون الأنام
إذا ما صح لى دينى وعرضى ... فلست لما تولى ذا اهتمام
تولى الأمس ، والغد لست أدرى ... أأدركه . ففى ماذا اغتمامى

(١) ولد ونشأ فى قرطبة ، رحل إلى المشرق ودرس مذهب الظاهرية ، وعاد إلى الأندلس ينشر هذا المذهب ، فناوأه الفقهاء ، وسفهوا مذهبه لدى العامة والحكام .
اشتغل بالوزارة فترة ثم تركها إلى العلم والفقه والحديث والأدب والفلسفة .
توفى سنة ٤٥٦ هـ

الشكوى

المعتمد بن عباد(١) وقد شاهد بناته معه فى السجن فى أغمات :

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا ... فجاءك العيد فى « أغمات » مأسورا
ترى بناتك فى الأطمار جائعة ... يغزلن للناس.مايملكن قطميرا(٢)
برزن نحوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن ، حسيرات، مكاسيرا(٣)
يطأن فى الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد إلا تشكى الجدبَ ظاهرُه ... وليس إلا مع الأنفاس ممطورا(٤)
أفطرت فى العيد لاعادت إساءته ... وكان فطرك للأكباد تفطيرا(٥)
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا ... فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسرّ به ... فإنما بات بالأحلام مغرورا

(١) أحد ملوك بنى عباد فى اشبيلية زمن الطوائف تعرض لتهديد الأذفونش ملك المسحيين فاستعان بيوسف بن تاشفين الأمير المغربى ، ثم تسلط عليه يوسف واستولى على إشبيلية واعتقله فى « أغمات » بالمغرب ذليلا مقيداً ، ومزق أسرته شر ممزق ، وتوفى سنة ٤٨٨ هـ . له شعر حسن يدل على ما كان فيه من نعمة ، وله فى الأسر شعر فى الشكوى وذم الزمان وأهله

(٢) الأطمار : الثياب البالياب واحدها طمر . القطمير : القشرة الرقيقة فى النواة .

(٣) حسيرات : متحسرات . مكاسير : أى خربتات .

(٤) ممطورا . أى مغطى بالدموع . (٥) تفطيرا : تمزيقا وتشقيقا .

أبو زيد الخطيب (١) فى التوسل :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول (كن) ... امنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن ذا الذى أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجدك أن تقنط عاصيا ! ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

صالح الرندى يرثى الأندلس

لكل شىء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها : دول ، ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة ... إذا نبت مشرفيات وخرصان(٢)

(١) نشأ ببلدته سهيل بالأندلس ، ثم انتقل إلى مراكش ، وتوفى بها سنة ٥٨١ هـ .

اشتهر بكتابه (الروض الانف)

(٢) المشرفيات : السيوف نسبة إلى مشارف الشام . والخرصان (بالضم): الرماح واحدها خرص مثلثا ، أو الخرصان (بالكسر) الرماح باسم قرية بالبحرين مشهورة ببيع الرماح . ونبوها : كلالها وتقصيرها .

وينتضى كل سيف للفناء . ولو   كان ابن ذى يزن والغمد غمدان(١)
أين الملوك ذوو التيجان من يمن   وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده « شداد » فى « إرم »   وأين ما ساسه فى الفرس «ساسان»
وأين ما حازه « قارون » من ذهب   وأين « عاد » و «شداد» و«قحطان»
أتى على الكل أمر لا مرد له   حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك   كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على « دارا » وقاتله   وأم « كسرى » فما آواه « إيوان »
كأنما الصعب لم يسهل له سبب   يوما ولم يملك الدنيا « سليمان »
فجائع الدهر أنواع منوعة   وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها   وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له   هوى له « أحد » وانهد «ثهلان»(٢)
أصابها العين فى الإسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل « بلنسية » ما شأن « مرسية »
وأين « شاطبة » أم أين « جيان »
وأين « قرطبة » دار العلوم . فكم   من عالم قد سما فيها له شان
وأين « حمص » وما تحويه من نزه   ونهرها العذب فياض وملآن(٣)
قواعد كن أركان البلاد . فما   عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف   كما بكى لفراق الإلف هيمان

---

(١) غمدان : قصر مشهور باليمن أيام سيف بن ذى يزن .

(٢) أحد وثهلان: جبلان بشبه الجزيرة العربية . (٣) حمص اسم لاشبيلية .

على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ، ما فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثى وهى عيدان
يا غافلا وله فى الدهر موعظة إن كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه . أبعد « حمص » تغر المرءَ أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ، وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ، كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ، كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر فى دعة ، لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل « أندلس » فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع فى الإسلام بينكم وأنتم - يا عباد الله - إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم ! أما على الخير أنصار وأعوان !
يامن لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهم جورٌ وطغيان !
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر ، واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج عند السبى مكرهة والعين باكية والقلب حيران(١)
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان فى القلب إسلام وإيمان

(١) العلج : الرجل من كفار العجم

التوشيح

موشحة لسان الدين بن الخطيب(١) :

جادك الغيث إذا الغيث همى   يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما   في الكرى أو خلسة المختلس
إذ يقود الدهر أشتات المنى   ينقل الخطو على ما يرسمُ
زمرا بين فرادى وثنى   مثلما يدعو الوفودَ الموسم(٢)
والحيا قد جلل الروض سنا   فثغور الروض عنه بتسم(٣)
وروى النعمان عن ماء السما   كيف يروى مالك عن أنس(٤)
فكساه الحسن ثوبا معلما   يزدهى منه بأبهى ملبس
في ليال كتمت سر الهوى   بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكأس فيها وهوى   مستقيم السير سعد الأثر
وطر مافيه من عيب سوى   أنه مر كلمح البصر
حين لذ الأنس شيئا أو كما   هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا أو ربما   أثرت فينا عيون النرجس(٥)
أي شيء لامرئ قد خلصا   فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الأزهار فيه الفرصا   أمنت من مكره ما يتقيه
فإذا الماء تناجى والحصا   وخلا كل خليل بأخيه

---

(١) نشأ في غرناطة ، واتصل ببني الأحمر ، وعمل لهم رئيسا للكتاب ووزيرا ، ووقعت أحداث نفي بسببها مرة إلى « سلا » بالمغرب ، وادعوا عليه أخرى بالزندقة . له شعر في المديح والرثاء ، ونثر في السياسة والرسائل السلطانية والإخوانية . توفي سنة ٧٧٦ هـ . (٢) الموسم : المراد به الربيع .
(٣) السنا : الضوء . (٤) غارت الشهب : غابت ...

تبصر الورد غيورا برما   يكتسى من غيظه ما يكتسى
وترى الآس لبيبا فهما   يسرق السمع بأذنى فرس

يا أهيل الحى من وادى الغضى   وبقلبى منزل أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا   لا أبالى شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى   تنقذوا عانيكم من كربه

واتقوا الله وأحيوا مغرما   يتلاشى نفَسا فى نفس
حبس النفْس عليكم كرما   أفترضون عفاء الحبس

وبقلبى منكم مقترب   بأحاديث المنى وهو بعيد
قمر أطلع منه المغرب   شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أو مذنب   فى هواه بين وعد ووعيد

ساحر المقلة معسول اللمى   جال فى النفْس مجال النفَس(١)
سدد السهم فأصمى إذ رمى   ففؤادى نبلة المفترس(٢)

إن يكن جار وخاب الأمل   وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أول   ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
أمرُه معتمل ممتثل   فى ضلوع قد براها وقلوب

حكّم اللحظ بها فاحتكما   لم يراقب فى ضعاف الأنفس(٣)
منصف المظلوم ممن ظلما   ومجازى البَر منها والمسى(٤)

ما لقلبى كلما هبت صبا   عاده عيد من الشوق جديد(٥)
كان فى اللوح له مكتتبا   قوله: إن عذابى لشديد
جلب الهم له والوصبا   فهو للأشجان فى جهد جهيد

---

(١) معسول اللمى: أى حلو الثغر، واللمى سمرة فى الشفتين ممدوحة.
(٢) أصمى الرامى: صدق فى حملته   (٣) احتكم: تحكم أى جار حكمه.
(٤) المسى: المسىء   (٥) عاده: اعتاده ونابه.

لاعج فى أضلعى قد أضرما فهو نار فى هشيم اليبس (١)
لم يدع من مهجتى إلا ذما كبقاء الصبح بعد الغلس (٢)

سلى يا نفس فى حكم القضا واعمرى الوقت برجعى ومتاب
دعك من ذكر زمان قد مضى بين عتبى قد تقضت وعتاب (٣)
واصرفى القول إلى المولى الرضا ملهم التوفيق فى أم الكتاب

الكريم المنتهى والمنتمى أسد السرح وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما ينزل الوحى بروح القدس

مصطفى الله سمى المصطفى الغنى بالله عن كل أحد
من إذا ما عقد العهد وفى وإذا ما عظم الخطب عقد
من بنى قيس بن سعد وكفى حيث بيت النصر مرفوع العمد

حيث بيت النصر محمى الحمى وجنى الفضل زكى المغرس
والهوى ظل ظليل خيما والندى هب إلى المغترس

هاكها يا سبط أنصار العلا والذى إن عثر الدهر أقال
غادة ألبسها الحسن ملا تبهر العين جلاء وصقال
عارضت لفظا ومعنى وحلى قول من أنطقه الحب فقال:

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس (٤)
فهو حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

---

(١) لاعج . أى شوق لاعج وهو الذى يختلج فى الصدر .
(٢) الذما (بالفتح) الذماء وهو بقية النفس .
(٣) العتبى : فعل ما يرضى العاتب . والعتب : اللوم .
(٤) المكنس : المكان يتخذه الظبى تحت ظلال الشجر .

موشحة ابن زهر :

أيها الساقى إليك المشتكى   قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت فى غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه ، واتكا   وسقانى أربعا فى أربع
ما لعينى عشيت بالنظر (١)
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ماشئت فاسمع خبرى
عشيت عيناى من طول البكا   وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث استوى (٢)
بات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر بالبين بكى   ويحه !. يبكى لما لم يقع ؟ !
ليس لى صبر ، ولا لى جلد !
يا لقومى ، عذلوا واجتهدوا !
أنكروا شكواى مما أجد
مثل حالى حقه أن يُشتكى   كمدُ اليأس وذل الطمع
كبدى حرى ودمعى يكف (٣)
يعرف الذنب ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف
قد نما حبى بقلبى وزكا .   لا تخل فى الحب أنى مدعى

(١) عشيت : ساء بصرها . (٢) استوى : استقام . (٣) يكف : يقطر.

فهـــرس